هذا الرأي قد ينطبق على شخصيات رواية «الأم» التي يستثنيها «لوكاتش»، لأنها تمثل «النموذجي في الاستثنائي»[٦٦] حسب اعتقاده. فهذه الشخصيات ليست أنماطاً لظاهرة اجتماعية موجودة في الحاضر أو وجدت في الماضي، وإنما هي بمثابة ظلال لفكرة «مستقبلية» إن صح التعبير، أكثر منها واقعية.

وبناء على هذا فإن الأب «غرانده» وحتى «دون كيخوتة» ـ رغم أنهما يجسدان المبالغة في الاستثناء ـ أكثر تمتعاً بالصفات ا لنمطية أو النموذجية من «بيلاجيا» أو «بافل».

* * *

ومهما يكن من شيء، فإن النمذجة في الواقعية الاشتراكية تعد أحسن بكثير منها في الواقعية الطبيعية. فقد ظلت الشخصيات في الطبيعية في منأى تام عن المجتمع، غارقة في شذوذها وانحرافاتها الحتمية التي لا مندوحة لها عن تلافيها، بينما حاولت الواقعية الاشتراكية أن تربط الشخصيات ربطاً قوياً بالمجتمع، بغض النظر عن نجاحها أو إخفاقها.

ولو أن الواقعيين الاشتراكيين عرفوا كيف يتجنبون الدعوة الصريحة ـ في كثير من الأحيان ـ إلى المثل الماركسية، وعملوا على انبثاق هذه المثل انبثاقاً طبيعياً من الحياة، لما وقعوا في هذه الأخطاء الفنية في رسم النماذج الإنسانية التي كانوا في غنى عن ارتكابها.

* * *

٣) والميزة الأخيرة التي نريد أن نقف عندها في الأخير هي التفاؤل الذي يلاحظ في ا لواقعية الاشتراكية بشكل واضح. وهذا بعكس ما رأيناه عند الواقعيين النقديين والطبيعيين من قبل. إن الواقعيين الاشتراكيين يرفضون بشدة النزعة الفوتوغرافية التوثيقية عند الطبيعيين، «فما الفنان بصحفي» عندهم. وقد أجرى الدكتور محمد مندور حديثاً مع أحد كتاب الواقعية الاشتراكية، وهو «سيمونوف»، فوجه إليه سؤالاً فيما معناه: لماذا يؤخذ على الكاتب الذي يصور شخصيات سلبية متخاذلة ما دامت تلك الشخصيات موجودة في واقع الحياة